

أضواء البيان

@ 7 @ .

فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها [] عليهم ، مجازاة لكفرهم الأول . . .
ومن جزاء السيئة ، تمادي صاحبها في الضلال ، و [] الحكمة البالغة في ذلك . . .
والآيات المصروفة بمعنى هذا كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ } بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غُلْفًا يَكْفُرُ بِهِمْ . . .
فقول اليهود في هذه الآية { قُلُوبُنَا غُلْفٌ } كقول كفار مكة : { قُلُوبُنَا } { فِي }
أَكِنَّةٍ { لأن الغلف ، جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف ، والأكنة جمع كنان ، والغلاف
والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساتر . . .
وقد رد [] على اليهود دعواهم ببل التي هي للإضراب الإبطالي ، في قوله { بَلْ طَبَعَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ غُلْفًا يَكْفُرُ بِهِمْ } . . .
فالباء في قوله : بكفرهم سببية ، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم ،
والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد . . .
وكقوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا } ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَيْهِمْ
قُلُوبُهُمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } ، والفاء في قوله : فطبع سببية أي ثم كفروا ،
فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر . . .
وقد قدمنا مراراً أنه تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل ، ومن المعلوم أن العلة
الشرعية سبب شرعي . . .
وكذلك الفاء في قوله : { فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } فهي سببية أيضاً ، أي فطبع على
قلوبهم ، فهم بسبب ذلك الطبع لا يفقهون أي لا يفهمون من براهين [] وحججه شيئاً . . .
وذلك مما يبين أن الطبع والأكنة يؤول معناهما إلى شيء واحد ، وهو ما ينشأ عن كل منهما
من عدم الفهم . . .
لأنه قال في الطبع { فَطَبَعَ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } . . .
وقال في الأكنة : { وَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ } أي
كراهة أن يفقهوه ، أو لأجل ألا يفقهوه ، كما قدمنا إيضاحه .